تفسير إبن كثير

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ

قال ابن جرير : (ثم آتينا موسى الكتاب) تقديره : ثم قل - يا محمد - مخبرا عنا بأنا آتينا موسى الكتاب ، بدلالة قوله : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) .قلت : وفي هذا نظر ، و " ثم " هاهنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر ، لا للترتيب هاهنا ، كما قال الشاعر :قل لمن ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جدهوهاهنا لما أخبر االله تعالى عن القرآن بقوله : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) عطف بمدح التوراة ورسولها ، فقال : (ثم آتينا موسى الكتاب) وكثيرا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة ، كقوله تعالى : (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا) [الأحقاف : 12] ، وقوله في أول هذه السورة : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) [الآية : 91] ، وبعدها (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) الآية [الأنعام : 92] ، وقال تعالى مخبرا عن المشركين : (فلما جاءهم الحق

من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى) قال تعالى : (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) [القصص : 48] ، وقال تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا : (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم) [الأحقاف : 30] .وقوله تعالى : (تماما على الذي أحسن وتفصيلا) أي : آتيناه الكتاب الذي أنزلناه إليه تماما كاملا جامعا لجميع ما يحتاج إليه في شريعته ، كما قال : (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) الآية [الأعراف : 145] .وقوله : (على الذي أحسن) أي : جزاء على إحسانه في العمل ، وقيامه بأوامرنا وطاعتنا ، كقوله : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) [الرحمن : 60] ، وكقوله (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) [البقرة : 124] ، وقوله : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [السجدة : 24] .وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن) يقول : أحسن فيما أعطاه الله .وقال قتادة : من أحسن في الدنيا تمم له ذلك في الآخرة .واختار ابن جرير أن

تقدير الكلام : (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) على إحسانه . فكأنه جعل " الذي " مصدرية ، كما قيل في قوله تعالى : (وخضتم كالذي خاضوا) [التوبة : 69] أي : كخوضهم وقال ابن رواحة :فثبت الله ما آتاك من حسن في المرسلين ونصرا كالذي نصرواوقال آخرون : " الذي " هاهنا بمعنى " الذين "قال ابن جرير : وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود : أنه كان يقرؤها : " تماما على الذين أحسنوا "وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (تماما على الذي أحسن) قال : على المؤمنين والمحسنين ، وكذا قال أبو عبيدة . قال البغوي : والمحسنون : الأنبياء والمؤمنون ، يعني : أظهرنا فضله عليهم .قلت : كما قال تعالى : (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي) [الأعراف : 144] ، ولا يلزم اصطفاؤه على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والخليل ، عليهما السلام لأدلة أخر .قال ابن جرير : وروى أبو عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرؤها " تماما على الذي أحسن " رفعا ، بتأويل : " على الذي هو أحسن " ، ثم قال : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها في العربية وجه صحيح .وقيل : معناه : تماما على إحسان الله إليه زيادة على ما أحسن الله إليه ، حكاه ابن جرير ، والبغوي .ولا

منافاة بينه وبين القول الأول ، وبه جمع ابن جرير كما بيناه ، والله الحمد .وقوله : (وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة) فيه مدح لكتابه الذي أنزله االله عليه ، (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون)